بحثه الزركشي فقال ينبغي ان يستثنى من قول الرافعي ما عدا الكسوف النيرين ما لو انكسف النجوم فالقياس على كسوف القمر
واولى لانها ادلة القبلة وبها الاهتداء انتهى وفيه نظر اذ ظاهر قياسها على القمر انه يصلي لها صلاة الكسوف
المشتملة على ركوعين في جماعة وليس كما قال ونص الام الموافق لكلام الشيخين والاصحاب يرده ما نعه ولفظه و لا
امر بصلاة جماعة في زلزلة ولا ظلمة ولا الصواعق والريح ولا غير ذلك من الآيات وامر بالصلاة منفردين كما يصلون
ساير الصلوات انتهى فانظر لعموم قوله ولا غير ذلك من الآيات الشامل لانكساف النجوم ولغير ذلك وبه جزم ابن ابي
الدم فقال ولا يصلي على هيئة الخسوف قولا واحدا انتهى ويوجه بانه لا يصار لتغيير الصلاة الا بتوقيف ولم يرد
الا في النيرين وليس في غيرها في معناها وقول الزركشي واولى لانها ادلة القبلة وبها الاهتداء يرد بان لا
مساواة فضلا عن الاولوية لان النيرين من آيات الله الباهرة ولهما من الظهور في العالم ما ليس لغيرها من النجوم
فاذا وقع بها تغير كان ذلك آية مخوفة لساير اهل هذا العالم من غضب الله وعقابه فشرعت لها صلاة مخصوصة
متميزة عن ساير الصلوات لتناسب تميزها عن ساير الكواكب فكيف بعد هذا التقرير يقال ان النجوم اولى بصلاة
الخسوف من القمر ومما يدل لما ذكرته ان من كره استقبال القمرين لم يقل بكراهة استقبال بقية النجوم وفرق بنحو ما
ذكرته فاتضح الفرق بينهما وبين غيرها وان الذي يتجه ان يقال ان انكساف النجوم بمنزلة الزلازل ونحوها فيأتي
فيها حكمها من الصلاة فرادى على المذهب المنصوص حذرا من الغفلة عند حدوث الحوادث العظيمة ثم ظاهر كلام
الشيخين كالبغوي ان هذه الصلاة سنة لسبب متقدم فتجوز في الاوقات المكروهة وقال ... منفردون
ليست كذلك بل هي نافلة مطلقة فلا تحل في الوقت المكروه واعتمده بعض المتاخرين وقال لم يرد الشيخان ان اصل
الصلاة لتلك الايات وكونها سنة لها حتى تكون ذات سبب بل المراد استحبابها بالصلاح رجوعا الى الله ولحسما
للغفلة عن تذكيره عز وجل وتخويفه باياته ولهذا الخلاف فيه وساق عبارات قد تدل على ذلك والذي يتجه ترجيح
ما دل عليه كلام الشيخين من انها ذات سبب ولا نسلم ان مرادهما ما ذكر لان ندب الصلاة عند حدوث تلك الايات
فيه تقييدها بذلك السبب فيصدق عليها حد الصلاة التي لها سبب فمن ادعى خروج هذه عن ذوات السبب مع صدق
تعريفها عليه فعليه البيان وتلك العبارة المسوقة كما قال يحتمل ما قلناه فلا شاهد فيها وان لم يكن فيها شاهد وجب
الرجوع الى حدهم لذوات السبب وهو يصدق على هذه الصلاة فكانت ذات سبب فتحل في الوقت المكروه ثم ما تقرر
في انكساف النجوم انما هو على فرض وقوعه والا فالذي صرح به اهل الهيئة واليهم المرجع في ذلك ان غالب النجوم لا تنكسف
لكن اورد عليهم السيف الامدي اشكالا على طريقهم وقال لا جواب لهم عنه وحاصل ما ذكره انهم زعموا ان سبب
خسوف القمر ان جرم الشمس اكبر من كرة الارض باضعاف كثيرة حتى ان منهم من قدره عاية واربعة وستين مرة
وان الشمس اذا انحطت للغروب امتد للارض ظل على شكل مخروط ضوء برى ضرورة ان الشمس اكبر من الارض ولا يزال
مخروط الارض يمتد ويستدق الى ان ينحط ولا يتعدى ذلك عطارد فاذا اتفق حصول الشمس في ذلك الظل من غير
تناف ولا تناير بحيث يحجب نور الشمس فهو خسوفه وعلى حسب تركه في مخروط الظل يكون زيادة الخسوف ونقصه
ثم لا يزال القمر في السير والظل في الحالة الاولى والعود الى مقابلة الشمس من غير حاجب وزعموا ان الكواكب
الثابتة في فلك البروج ايضا يكتسب نورها من نور الشمس كاكتساب نور القمر من نور الشمس فاذا قيل لهم لم لا تنكسف
تلك الكواكب بحيلولة مخروط ظل الارض بينها وبين الشمس قالوا ان الظل ينمحق دون الوصول اليها فاذا قيل
ولم قلتم بانمحاق مخروط الظل دونها قالوا لانها لا تنكسف ووجود دور ممتنع قال ولم يتحقق لهم عنه جواب بل لو قيل

لهم الكواكب

الاشتغال

لهم الكواكب الثابتة في فلك البروج وكذلك زحل والمشتري والمريخ مضيئة بانفسها فكذلك لم ينكسف مخروط الظل
مع وصوله اليها لم يكن لهم عنه جواب واما قولهم في كسوف الشمس انه بسبب ستر القمر له عند المقارنة ولهذا
لا يعهد كسوفها في غير ايام المقارنة والاجتماع فان قيل لهم كما ان القمر قد يقارن الشمس المقارنة العيمية وكذلك
الزهرة وعطارد فما بالهما لا يحجبان الشمس عن ابصارنا في وقت المقارنة والاجتماع كما في القمر لم يجد الى الفرق
سبيلا انتهى واعترض ابن العربي في شرح الترمذي قولهم ان سبب كسوف الشمس ستر القمر لها بان الشمس
عندهم اضعاف القمر الجرم فكيف يستر الجرم الصغير الجرم الكبير اذا قابله انتهى وجوابه ان كلما اتسع الجرم الصغير
للمقابلة كما قاله الشافعي رضي الله عنه في محاذاة الناس للقبلة مع قلة عرض سمتها وبعد عرض ما بين المشرق
والمغرب قياسا على المنارة المرئية من بعد على عرض الرماة والشمس في الفلك الرابع والقمر في الفلك الاول فلبعد المسافة
بينهما حجبها عند عدم المقابلة او بعضها عند عامها وان كان جرمه صغيرا بالنسبة لها فتامل ذلك فانه مهم
والحاصل انا ان قلنا ان الكواكب غير الثابتة نورها مكتسب من نور الشمس كما يقول اهل الهيئة فهم قايلون مع ذلك
بانها لا تنكسف وان لزمهم ما مر عن الامدي على انه يمكن الانفصال عنه بان يقال ملحظ القول بعدم انكساف الكواكب
الاستقراء التام والوجود وسببه انمحاق مخروط الظل دونها والدليل على هذا الانمحاق عدم وقوع الانكساف لها في
الخارج ولهذا التقرير يندفع الدور الذي اورده الامدي عليهم وان قلنا بما قاله الامدي من ان الكواكب مضيئة بنفسها
وليست مكتسبة من الشمس فعدم انكسافها واضح حينئذ لان المقرب ما قالوه من استمدادها من الشمس ان القمر الذي
هو اضوء منها والجلاء اذا كان نوره انما هو من نور الشمس عند اهل الهيئة ومن وافقهم من اهل السنة وهم كثيرون فكذلك
تلك الكواكب مضيئة بنفسها او نورها من نور الشمس الحقيقي بل قلنا بواسطة تسليم ان نور القمر من نور الشمس ويبعد ان
نوره من نورها ونور الكواكب ليس من نورها والبحث في كل ذلك لا دليل عليه يرجع عليه عند التنازع ولا يجدي كله عند
التحقيق وانما المدار على انه ان تصور انكساف الكواكب صلي لها صلاة نحو الزلازل لا صلاة الكسوف خلافا للزركشي لما مر
لكم مبسوطا ومسئل فسح الله في مدته ونفع بعلومه ما حقيقة كسوف القمرين وما حقيقة هذا الذي يعتري القمر في
النصف الثاني من الشهر قليلا قليلا حتى يكمل ثم ينجلي اول الشهر وما الحكمة في زيادة ركوع في صلاة الكسوف وخاصة
فاجاب امدنا الله من مدده وفسح في مدته اما حقيقة كسوف الشمس والقمر واختلاف القمر زيادة ونقصا وغيرهما فقد
تعرض له اهل الهيئة واليهم المرجع في ذلك قالوا ومما يعرض للقمر ما يعرض له بالقياس الى الشمس وهو المحاق والزيادة
والكمال والنقصان وكسفه للشمس والخسوف وبيان ذلك ان جرم القمر كثيف كمد مظلم لا نور له بذاته وانما هو صقيل
يستضيء بضياء الشمس كالمرآة المصقولة اذا حوذي بها الشمس فيكون النصف من القمر الموجه للشمس مضيئا ابدا بضوء الشمس والنصف
الآخر منه مظلما على حاله لعدم وصول الضوء من الشمس فعند اجتماع القمر مع الشمس يكون القمر بيننا وبين الشمس لان فلكها
فوق فلكه اذ هي في السماء الرابعة وهو في السماء الدنيا فيكون نصفه المظلم مواجها لنا ونصفه المضيء مستورا عنا بالنصف
المظلم فلا نرى شيئا من ضوئه وهذا هو المحاق فاذا بعد القمر عن الشمس مقدار قريبا من اثني عشر جزءا او اقل او اكثر على
اختلاف اوضاع المساكن وعروض القمر وكثرة الابعاد وحدة الابصار مال النصف المضيء الينا شيئا فنرى منه وهو الهلال
ثم كلما ازداد بعده عن الشمس ازداد ميل المضيء الينا فاذا قرب البعد من ربع الدور يرى القمر كنصف دايرة وهكذا يزيد
النيل فيرى شكلا اهليجيا حتى اذا قابل القمر الشمس وصار البعد بينهما نصف المدور صار الحائل بين القمر والشمس وصار ما
يواجه الشمس من القمر يواجهنا فيرى القمر كدايرة تامة وهو الكمال ويسمى القمر حينئذ بدرا فاذا انحرف من مقابلة الشمس قال

Copyright ... University